

الملاحظات

لَمَّا كَانَ السَّيِّدُ أَشْرَفُ فِي أَدْرَنَةَ، أَنْزَلَ حَضْرَةَ بَهَاءِ اللَّهِ لَوْحًا بِالْعَرَبِيَّةِ فِي حَقِّهِ مَعْرُوفٌ بِـ "لَوْحِ أَشْرَفٍ". تَرَجَّمَتْ حَضْرَةُ شَوْقِي أَفَنْدِي جُزْءًا مِنْهُ إِلَى الْإِنْكَلِيزِيَّةِ.⁽¹⁾ يَبْدُو مِنْ مَحْتَوَاهِ أَنَّ هَذَا اللَّوْحَ قَدْ نَزَلَ بَعْدَ مَحَاوَلَةِ مِيرْزَا يَحْيَى النَّيْلِ مِنْ حَيَاةِ حَضْرَةِ بَهَاءِ اللَّهِ. يَدْعُو فِيهِ أَشْرَفٌ لِشُكْرِ اللَّهِ إِذْ مَكَّنَهُ مِنَ الْفَوْزِ بِلِقَائِهِ وَرُؤْيَا بَهَائِهِ. يَأْمُرُهُ أَنْ يَأْخُذَ اللَّوْحَ مَعَهُ عِنْدَ عَوْدَتِهِ لِمَوْطِنِهِ وَيُشَارِكُ بِهِ الَّذِينَ آمَنُوا بِأَمْرِهِ. يُشِيرُ عَلَيْهِ بِأَنْ يُخْبِرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَصَائِبِهِ الَّتِي سَبَّبَتْهَا أَيْدِي الْخَائِنِينَ، وَأَنْ يُنْقَلَ إِلَيْهِمْ بِشَائِرِ إِعْلَانِ ظَهْوَرِهِ. وَيُحِثُّ الْمُؤْمِنِينَ الْمَخْلَصِينَ عَلَى الْقِيَامِ عَلَى نَصْرَةِ أَمْرِهِ، وَيُشِيرُ عَلَيْهِمْ بِأَنْ يَجُودُوا عَلَى الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ كَمَا يَجُودُ الْمَطْرُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَحْذَرُهُمْ أَلَّا يَتَأَثَّرُوا بِمَفْتَرِيَّاتِ أَتْبَاعِ مِيرْزَا يَحْيَى، أَوْلَئِكَ الَّذِينَ عَادُوا اللَّهَ، وَأَنْكَرُوا بَرَهَانَهُ وَأَظْهَرُوا مِنَ الْعِنَادِ وَالصَّلَفِ مَا جَعَلَهُمْ يَقْفُونَ فِي وَجْهِهِ وَيَتَأَمَّرُونَ عَلَى حَيَاتِهِ.

يَعَاتِبُ حَضْرَةَ بَهَاءِ اللَّهِ أَتْبَاعَ "البيان" فِي "لَوْحِ أَشْرَفٍ" بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ:

(1) انظر "منتخبات من آثار حضرة بهاء الله"، المقتطف رقم 52.

"... ولكن أكمه البيان تالله لن يعرف الشمس ولا أثرها وضيائها ولو تطلع في مقابلة عينه في كل حين.

قل يا ملأ البيان إنا اختصناكم لعرفان نفسنا بين العالمين. وقريناكم إلى شاطئ الأيمن عن يمين بقعة الفردوس المقام الذي فيه تنطق النار على كل الألحان بأنه لا إله إلا أنا العلي العظيم. إياكم أن تحجبوا أنفسكم عن هذه الشمس التي استضأت عن أفق مشية ربكم الرحمن بالضياء الذي أحاط كل صغير وكبير. أن افتحوا أبصاركم لتشهدوها بعيونكم ولا تعلقوا أبصاركم بذي بصرٍ لأن الله ما كلف نفساً إلا وسعها وكذلك نزل في كل الألواح على النبيين والمرسلين..."

يدعو حضرة بهاء الله في هذا اللوح أشرف للاستماع إلى "لسان القدم". فيعلن بأن "جمال القدم قد تجلّى على كل الأشياء بكل الأسماء في هذه الأيام المقدس العزيز المنيع". وينصحه متفضلاً: "فاسع في نفسك بأن تكون محسناً في أمر ربك وخالصاً لوجه لي جعلك من أسمائه الحسنى".

يتضمن "لوح أشرف" عبارة هامة بخصوص قوة أثر الدعاء المنزه عن الهوى. فيصرح بأن "لو يُرفع اليوم أيادي كل الممكنات خالصاً عن الإشارات إلى شطر

الرجاء من ملك الأسماء ويسألنه خزائن السموات والأرض ليعطيهم بفضله العميم قبل أن يرجع أياديهم إليهم... "حقًا إن مفتاح الولوج في هذا الفضل المكنوز يكمن في كلمة "الانقطاع". يتبين من دراسة الآثار المباركة بأنه ما لم يصل الإنسان إلى حالة العبودية الصرفة التي يفنى فيها عن نفسه ولا يكون له مراد إلا ما أَرَادَهُ اللهُ، فإنه لن يعرج إلى هذه المرتبة العليا.

إن أكثر الصلوات نقاء ما تنزهت عن الهوى. فيها تنزل بركات السماء على الروح، ومع ذلك فإن لبني البشر حاجات متعددة في هذه الدنيا سواء حين الشدة أو الألم أو الحزن، فإنهم يتوجهون إلى الله سائلين العون. لذلك أنزل كل من حضرة الباب وحضرة بهاء الله أدعية ومناجاة مخصوصة لمختلف المناسبات والحاجات، يتلوها الشخص عند الضرورة. إن كان لا بد للإنسان من رغبة -وهذا شئ طبيعي لدى كل شخص- فينبغي لدعائه أن يكون بحيث يعلق نهاية أمره برضاء الله. ذلك لأن أية رغبة أو أمنية أخرى، وإن كانت خدمة لأمر الله، على ما هي عليه من قيمة وأهمية، سوف لا تؤدي بالضرورة إلى خلاصه. فقد كان هناك بعض ممن قدموا خدمات مرموقة لأمر الله ومع ذلك انتهت حياتهم روحانيًا بمأساة. يجدر بنا أن نتذكر هذه الكلمات لحضرة بهاء الله:

"إذكم من عاصٍ يتوقّق حين الموت إلى جوهر الإيمان ويزوق حمرة البقاء ويسرع إلى الملاء الأعلى . وكم من مطيعٍ ومؤمنٍ ينقلب حين ارتقاء الروح ويستقر في أسفل دركات النيران."

على أية حال، فإن حمد الله وثنائه من أفضل أشكال المناجاة. فمن خلاله تُفتح أبواب العناية الإلهية ويسبغ على عبده ما يشاء من قدراته وبركاته. وإذا ما توجّه الإنسان في نجواه خالصاً لتمجيد اسمه تعالى وثناء صفاته فإن هذا من أكثر الأمور الطبيعية اللائقة بالإنسان والمفروض به عمله تجاه خالقه. وهو موقف أشبه ما يكون بالنبات في توجّهه نحو الشمس. ففي الوقت الذي تنشر الأخيرة طاقاتها دون تخصيص أو تمييز، إلا أن الشجرة، بحكم طبيعة خلقها، لا يمكنها إلا أن تنشر أغصانها وأفنانها باتجاه الشمس. وإن لم تفعل ذلك لكان علامة ودليلاً على موتها. مثال آخر هو صراخ الرضيع طلباً للغذاء قبل أن تلبّي أمه طلبه. أمّا إذا توقف عن طلبه الغذاء، فهو عليل ولو أن أمه قد تمدّه بالغذاء رغماً عنه. هذه العلاقة الثنائية المتبادلة هي أساس النمو وقاعدته. على غرار ذلك فإن الله يفيض على الكائنات بمدد وعطايا لا متناهية، لكن يجب على الإنسان بدافع ذاتي أن يتوجّه إليه متعبداً مسبّحاً لأجل أن يفوز بها. إذا قصّر في عمل ذلك، يصبح محروماً روحياً. يؤكد ذلك حضرة بهاء الله في الكلمات المكونة إذ يتفضل قائلاً:

**"يا ابن الوجود
أحبني لأحبك إن لم تحبني لن أحبك أبداً فاعرف يا عبد."**

إن علامة الحياة الروحانية الحقة في الإنسان هي حينه إلى الله وشوقه لعبادته وتمجيده. ولنا خير أسوة بكل من حضرة الباب وحضرة بهاء الله في هذا المجال إذ إن معظم مناجاتهم وأدعيتهم في حمد الله وثنائه. هذه الأدعية تبعث في الروح مشاعر نكران الذات والفقر البحت، بينما تخضع الذات لقوة الله ومجده اللذين يصبحان الأثر المحرك لهدايتها وإمدادها طوال حياتها.

إن القوة التي يمكن أن تتولد في قلب المؤمن عندما يتحرر من كل هوى ويتوجه إلى الله مرتلاً حمده وتمجيده، يَقْصُرُ الإنسان عن إدراكها. يكفي القول بأنها هي التي استمد منها العديد من أبطال الأمر قوتهم واستقامتهم. يليق في هذا المقام الاستشهاد بإحدى مناجاة حضرة بهاء الله في تسبيح الله وتعظيمه:

**"سبحانك اللهم يا إلهي كيف أذكرك بعد الذي أيقنت بأن ألسن العارفين كلت
عن ذكرك وثنائك ومنعت طيور أفئدة المشتاقين عن الصعود إلى سماء عزك
وعرفانك."**

لو أقول يا إلهي بأنك أنت عارفٌ أشاهد بأن مظاهر العرفان قد خلقت بأمرك.
ولو أقول بأنك أنت حكيمٌ أشاهد بأن مطالع الحكمة قد ذوّت بإرادتك. وإن
قلت بأنك أنت الفرد ألاحظ بأن حقايق التفريد قد بُعثت بإنشائك. وإن قلت
أنك أنت العليم أشاهد بأن جواهر العلم قد حققت بمشييتك وظهرت بإبداعك.

فسبحانك سبحانك من أن تشير بذكرٍ أو توصف بثناءٍ أو بإشارةٍ لأن كل ذلك
لم يكن إلا وصف خلقك وُبُعث بأمرك واختراعك وكلما يذكرك الذاكرون أو يعرج
إلى هواء عرفانك العارفون يرجعون إلى النقطة التي خضعت لسلطانك وسجدت
لجمالك وذوّت بحركةٍ من قلمك.

بل استغفرك يا إلهي عن ذلك لأن بذلك يثبت النسبة بين حقايق الموجودات
وبين قلم أمرك فسبحانك سبحانك من ذكر نسبتهم إلى ما يُنسب إليك لأن كل
النسبة مقطوعة عن شجرة أمرك وكل السبل ممنوعة عن مظهر نفسك ومطلع
جمالك.

فسبحانك سبحانك من أن تُذكر بذكرٍ أو تُوصف بوصفٍ أو تُثنى بثناءٍ وكلما
أمرت به عبادك من بدايع ذكرك وجواهر ثنائك هذا من فضلك عليهم ليصعدنّ
بذلك إلى مقر الذي خلق في كينوناتهم من عرفان أنفسهم.

وإنك لم تزل كنت مقدساً عن وصف ما دونك وذكر ما سواك وتكون بمثل ما
كنت في أزل الآزال. لا إله إلا أنت المتعالي المقتدر المقدس العليم.

"كتاب ظهور حضرة بهاء الله، أديب طاهرزاده، المجلد ٢"